من أحكام الخُطبة والخَطيب

أ.د. محمد نبهان إبراهيم رحيم

جامعة الأنبار/ كلية العلوم الإسلامية
Abusuraqa_٦٦@yahoo.com

أ.م.د محمود إبراهيم رحيم

جامعة العلوم التطبيقية/ البحرين
Abusuraqa_٦٦@yahoo.com

ملخص للبحث الموسوم

((من أحكام الخُطْبَةِ والخَطِيب))

محمد نبهان إبراهيم رحيم **محمود إبراهيم رحيم**

جامعة الأنبار/ كلية العلوم الإسلامية **جامعة العلوم التطبيقية/ البحرين**

Abusuraqa_٦٦@yahoo.com

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فإن علم الخطابة يُوَضِّحُ لطلاب الدعوة - الذين لم يسبق لهم أن مارسوا التحدثَ، ولا إلقاء المحاضرة، ولا الخطابة - طرقَ التحضير وتهيئةِ الموضوع من جميع نواحيه، ويُعِدُّ لهم أركان الخطابة وأسسها من جميع جوانبها، ويشبعها بحثًا ودرسًا وشواهد، حتى يستطيع أن يدلي بحجته، فيؤثر في الناس بتحريك المشاعر والسيطرة على القلوب، ويبين لهم الخطوات الموصلة إلى الارتجال في الخطابة، والبواعث التي تثير انتباه الجمهور إليه.

وبهذا:: فإن علم الخطابة ينير الطريق أمام من عنده استعداد للخطابة ليربي ملكاته، وينمي استعداداته، ويخلصه مما عنده من عيوب، ويرشده إلى طريق إصلاح نفسه؛ ليسير في الطريق ويسلك السبيل.

بعد هذه المقدمة الموجزة: نأتي إلى معنى الخطبة وأهدافها وغايتها وأنواعها، ثم نعرج بشيء من التفصيل عن خطبة الجمعة، التي تعد من أهم وسائل الدعوة والإرشاد في مجال نشر الأحكام الشرعية بين الناس، وتوعيتهم وترغيبهم بما يرضي الله عز وجل، ويقربهم من الجنة، وترهيبهم عن ما يغضب الله سبحانه وتعالى، وبما يبعدهم عن النار والعياذ بالله.

وطبقا لما تقتضيه طبيعة كتابتنا عن هذه المسألة: فإنها ستكون مقسمة على أربعة مباحث:

١ – المبحث الأول: الخطابة بمفهومها العام وأركانها وشروطها وأنواعها مع نبذة مختصرة عن نشأتها.

٢ – المبحث الثاني: خطبة الجمعة: شروطها وأركانها وأهميتها وكيفية إعدادها.

٣ – المبحث الثالث: الخطيب وصفاته.

٤ – المبحث الرابع: نماذج من الخطب.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الخطبة- خطبة الجمعة – الخطيب وصفاته – نماذج من الخطب .

أسأل الله تعالى القبول والرضا .. إنه سميع مجيب ...

والحمد لله رب العالمين....

Summary of the tagged search
((Of the provisions of khutbah and khateeb))

Mohamed Nabhan Ibrahim Rahim
Anbar University / Faculty of Islamic Sciences
Mahmoud Ibrahim Rahim
Applied Sciences University / Bahrain
Abusuraqa_٦٦@yahoo.com

Praise be to God and prayers and peace be upon our master Muhammad, the Messenger of Allah and his family and companions and those who follow him.

After that: the science of rhetoric explains to the students of the call - who have never practiced speaking, nor lecture, nor rhetoric - the methods of preparation and the preparation of the subject in all its aspects, and prepares them the pillars of rhetoric and founded in all aspects, and saturated research and study and evidence, To influence people by moving feelings and control of hearts, and shows them the steps leading to improvisation in public discourse, and motives that raise public attention to him.

In this way: the science of rhetoric enlightens the way before those who have the readiness to speech to raise his property, and develop his preparations, and save him from the defects, and guide him to reform himself; to walk in the way and walk the way.

After this brief introduction: we come to the meaning of the sermon and its objectives and objectives and types, and then linger in some detail about the Friday sermon, which is one of the most important means of advocacy and guidance in the dissemination of legitimate provisions among the people, and awareness and encourage them to the satisfaction of God Almighty, About what angers God Almighty, and away from the fire and forbid God.

According to the nature of our writing on this issue, it will be divided into four sections:

١-The first topic: Public discourse in its general sense and its elements and conditions and types with a brief description of its inception.

٢-The second topic: Friday sermon: the conditions and elements and importance and how to prepare.

٣-The third topic: Khatib and his qualities.

٤-The fourth topic: examples of speeches.

Keywords: The concept of sermon - Friday sermon - Khatib and its attributes - Samples of speeches.

I ask Allaah to accept and accept...

and thank Allah the god of everything....

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.
وبعد: فإن علم الخطابة: هو العلم الذي يُعَرِّفُ الداعية والخطيبَ كيفية مخاطبة الناس، وإقناعهم، وجذبهم إلى كلامه، وترغيبهم بما هو حسن وجميل، وترهيبهم بكل ما هو سيء وبذي.
ثم إن علم الخطابة يبين لمن يريد أن يسلك هذا الطريق كيفية التكلم بتؤدة وتمهل؛ حتى يفهم الناسُ منه ويعقلوا عنه، ويوضح أيضاً كيف تكون خطبته لمستمعيه بما تتناسب مع عقليتهم وثقافتهم، وما تتفق مع أعمارهم ولهجاتهم، حتى يستحوذ على نفوس المخاطبين ومشاعرهم، ويكون له في المجتمع أثر إيجابي.
كما إن فن الخطابة يُعَرِّفُ المتكلمَ كيف يملك قلوب المخاطبين، ويشدهم إلى تَقَبُّلِ الحق، ويدفعهم إلى الالتزام بكل ما هو صحيح، ويحرك عزائمهم ويستثير وجدانهم، وذلك باستعمال النداءات الاستعطافية والمخاطبات التشويقية.
يضاف إلى هذا: فإن علم الخطابة يُوَضِّحُ لطلاب الدعوة - الذين لم يسبق لهم أن مارسوا التحدثَ، ولا إلقاء المحاضرة، ولا الخطابة - طرقَ التحضير وتهيئةِ الموضوع من جميع نواحيه، ويُعِدُّ لهم أركان الخطابة وأسسها من جميع جوانبها، ويشبعها بحثًا ودرسًا وشواهد، حتى يستطيع أن يدلي بحجته، فيؤثر في الناس بتحريك المشاعر والسيطرة على القلوب، ويبين لهم الخطوات الموصلة إلى الارتجال في الخطابة، والبواعث التي تثير انتباه الجمهور إليه.
وبهذا:: فإن علم الخطابة ينير الطريق أمام من عنده استعداد للخطابة ليربي ملكاته، وينمي استعداداته، ويخلصه مما عنده من عيوب، ويرشده إلى طريق إصلاح نفسه؛ ليسير في الطريق ويسلك السبيل.
بعد هذه المقدمة الموجزة: نأتي إلى معنى الخطبة وأهدافها وغايتها وأنواعها، ثم نعرج بشيء من التفصيل عن خطبة الجمعة، التي تعد من أهم وسائل الدعوة والإرشاد في مجال نشر الأحكام الشرعية بين الناس، وتوعيتهم وترغيبهم بما يرضي الله عز وجل، ويقربهم من الجنة، وترهيبهم عن ما يغضب الله سبحانه وتعالى، وبما يبعدهم عن النار والعياذ بالله.
وطبقا لما تقتضيه طبيعة كتابتنا عن هذه المسألة: فإنها ستكون مقسمة على أربعة مباحث:
١ – المبحث الأول: الخطابة بمفهومها العام وأركانها وشروطها وأنواعها مع نبذة مختصرة عن نشأتها.
٢ – المبحث الثاني: خطبة الجمعة: شروطها وأركانها وأهميتها وكيفية إعدادها.
٣ – المبحث الثالث: الخطيب وصفاته.
٤ – المبحث الرابع: نماذج من الخطب.
ومن باب الأمانة العلمية: لابد لي أن أُطْلِعَ القاريء أنني اطلعت على أكثر ما كتب عن الخطابة ومفهومها وأركانها، واستخلصت من تلك الكتابات هذه الوريقات، وحاولت الجمع بين الإسهاب والإطناب، بأسلوب سهل وشيق، غير طويل ممل ولا قصير مخل.
أسأل الله تعالى القبول والرضا .. إنه سميع مجيب ...
والحمد لله رب العالمين....

المبحث الأول

الخطابة ومفهومها العام

أولا: تعريف الخطابة:

الخطابة لغة: مصدر خطب يخطب خطبة وخطابة.

جاء في (الصحاح للجوهري): " الخَطْبُ .... وخَطبت على المنبر خُطْبَةً بالضم. وخاطبه بالكلام مُخاطبةً وخِطاباً".

وتقول: ما خطبك؟ أي ما أمرك، وتقول: هذا خطب جليل وخطب يسير، وجمعه خطوب.

وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، وخطب على المنبر خطبة - بضم الخاء - وخطابة، وخطب المرأة في النكاح خطبة - بكسر الخاء - يخطب، بضم الطاء فيهما - في خطبة النكاح وخطبة المنبر- واختطب أيضًا فيهما، وخطب من باب ظرف صار خطيبًا.

قال الإمام محمد أبو زهرة - رحمه الله - في تعريف الخطابة:

"الخطابة مصدر خطب يخطب أي صار خطيبًا، وهي على هذا صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التصرف في فنون القول؛ لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم، فالخطابة مرماها التأثير في نفس السامع ومخاطبة وجدانه، وإثارة إحساسه للأمر الذي يراد منه، ليذعن للحكم إذعانًا ويسلم به تسليمًا".

ويمكن القول: إن الخطبة: (فن مخاطبة أو مشافهة الجماهير بأسلوب يعتمد على الاستمالة والإقناع).

ومن خلال هذا التعريف نستطيع أن نحدد أسس الخطابة وهي:

١ – المشافهة: ويقصد بها: أن يوجد عنصران في المخاطبة (المتكلم أو القاريء) و (المتلقي أو المستمع) الذي يمكنه رؤية المتكلم عن طريق تسجيل مرئي، أو غيره من الطرق الحديثة.

٢ – الجماهير: وهم الناس الذين يستمعون إلى ما يقوله الخطيب، فإذا لا يوجد هناك أناس منتبهين إلى المتكلم فلا يعد كلامه من نوع الخطابة.

٣ – الاستمالة: ويقصد بها: إثارة عواطف السامعين وجذب نتباههم وتحريك مشاعرهم وذلك بتنوع الأسلوب وجودة الإلقاء.

٤ – الإقناع: بان يقوم المتكلم بمخاطبة عقول المستمعين بسرد المثلة وتقديم الأدلة على ما يقوله والبراهين التي تقنع مستمعيه.

ثانيا: نشأة الخطابة:

الخطابة قديمة العهد والاستعداد لها مخلوق مع الإنسان، إذ لا غنى للإنسان عن الإبانة والتعبير لغيره عما يدور في خلده وضميره من معانٍ وأفكار، وعن إقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه.

وقد كان للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في الخطابة الحظ الأوفى والمقام الأعلى، فكل واحد منهم عليهم الصلاة والسلام كان داعية خطيبًا إلى توحيد الله تعالى وطاعته وتقواه، وإرشاد الناس إلى طريق الخير وتحذير الناس من طريق الشر، بحيث من سار في طريق الخير سعد ونجى، ومن سار في طريق الشر هلك وشقى، كما قال رب العالمين سبحانه: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه: ١٢٣، ١٢٤).

وهكذا كان كل نبي من لدن آدم إلى سيدنا محمد صلى الله عليهم أجمعين وسلم كانوا يقومون في أقوامهم دعاة خطباء، يدلونهم على الله وما يقربهم منه ويوصلهم إلى طاعته، ويبينون لهم الثمرات الطيبة التي تنعكس عليهم غذا ما التزموا أوامر الله عز وجل وأطاعوه في الدنيا والآخرة.

كما يبينون لهم الآثار السيئة والعواقب الوخيمة - التي تنتظرهم وتحل بساحتهم - إن تركوا نهجه وابتعدوا عن طريق الحق والصواب، وأصروا على التمرد والعصيان، كما أخبر الله عز وجل عنهم في كتابه الكريم، وأطلعنا على ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد بقي من آثار الخطابة على طول الأمد خطب التوراة التي قام بها الأنبياء عليهم السلام إلى بني إسرائيل؛ ليحملوهم على الاستقامة ويردوهم عن الشر والغواية.

وكان للعرب في ذلك الحظُّ الأوفى، فحفلوا بها في الجاهلية، وساعد عليها وجودُ عدة أسبابٍ اجتماعيةٍ أدت إلى ازدهارها ورفعة شأنها، فوصلت إلى القمة وتوَّجت بالشرف والاعتزاز.

ومن تلك الأسباب ما يأتي:

١ - طبيعة مواضيع الخطابة:

وهي إما حثٌ على حربٍ، أو حض على سلمٍ، وبطبيعة الحال لا يتعرض لهذه المواضع إلاَّ من كان سيدًا مطاعًا؛ لأنه الذي يُسمَع قوله ويطاع أمره في مثل تلك المواقف، وهو الذي يملك إعلان الحرب وقبول الصلح.

٢ - التهاني أو التعازي:

فإذا أرادت قبيلة أن تهنئ قبيلة أخرى بمكرمةٍ، كظهور فارسٍ أو نبوغ شاعرٍ أو غير ذلك، فإنها ستوفد من طرفها من يؤدي ذلك عنها، وبطبيعة الحال أيضًا لن تختار إلاَّ من أشرافها ليمثلوها ويعبروا عنها.

٣ - المفاخرات والمنافرات:

ومن عادة هذين الغرضين ألاَّ يقعان إلاَّ بين شخصين عظيمين، يرى كل شخص منهما أنه أعلى وأعظم من الآخر، فيرفع من شأنه ويحط مِن قدر مَن يقابله، وعليه فلن يتقدم لتعداد المفاخر إلاَّ الفضلاء، كل ذلك يجعل مهمة الخطابة فاضلة نبيلة، ويرفعها إلى المكانة العالية.

أما الخطابة في صدر الإسلام:

فقد وصلت إلى الذروة وبلغت كمال أوجها، وجاء العصر الأموي فوجدت الخطابة لها غذاءً من الفتن والثورات التي أظلت ذلك العصر، وقد أخذ الفتيان والكهول يتبارون في الخطابة ويتسابقون في ميدانها، وكان مكانُ ذلك الوفادة ومجالس الخلفاء والأمراء والولاة.

فنشأ من هذا: أن وُجِدَ أناسٌ يعلمون الشبان الخطابة ويمرنونهم عليها.

وقد ظهر ذلك واضحًا كل الوضوح في العصر العباسي الأول، حيث جاء في (البيان والتبيين) للجاحظ وفي (العقد الفريد) لابن عبد ربه:

" أن بشرًا بن المعتمر مر بإبراهيم بن جبلة وهو يعلم فتيانه الخطابة، فقال بشر: "أضربوا عن ما قال صفحا واطووا عنه كشحا".

ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه، وفي هذه الصحيفة وصف جيد لأساليب الخطابة وألفاظها ومعانيها.

ويظهر أنهم لم يقتصروا على استنباطاتهم العربية، بل كانوا يستعينون بما في آداب الأمم الأخرى؛ ليعاونهم ذلك في استنباطهم ويمدهم بما ليس عندهم، وينبههم إلى ما عساه يعزب عن خواطرهم.

ثالثا: أهمية الخطابة ومكانتها:

إن الإنسان إذا عرف أهمية الشيء ومكانته في الحياة سعى إليه بكل طاقته وجهده؛ ليتحصل عليه وينال شرفه وفضله.

والخطابة من أهم الأشياء في حياة الإنسان؛ لأن الإنسان بطبيعته مدني اجتماعي يحب الخلطة ويكره العزلة، وإذا خالط الناس فلا بد أن يحدث بينه وبينهم اختلاف أيّاً كان سبب هذا الاختلاف، وحينئذ فلا بد له ولغيره من محاولة كل منهما بإقناع الآخر برأيه، وهنا تأخذ الخطابة دورها في المعارك الدائرة هجومًا ودفاعًا.

ومن هنا عرف الناس الخطابة منذ أن اجتمعوا في مكان واحد واستوطنوه؛ لأن الطبيعة تقتضي اختلاف الناس متى اجتمعوا، سواء كان هذا الاختلاف في رأي أو في عقيدة، أو كان الاختلاف بسبب تنافس على غنيمة أو متاع أو سلطة، فيحاول المتفوق أن يستميل إليه من يخالفونه وأن يقنعهم، فإذا ما أقنعهم واستمالهم فهو خطيب وقوله خطبة، ثم إنه من الطبيعي أن تنشب أمور تستدعي تعاون المجتمع، وتضافر قواه على اجتلاب نفع عام مشترك أو اتقاء ضرر عام، فيتصدر بعض النابهين من هذا المجتمع لقيادة الجماعة وزعامتها، وعدتهم في ذلك الخطابة، على أن الناس في حياتهم القديمة تسلحوا بأسلحة مادية للدفاع والعدوان، وتسلحوا أيضًا بسلاح معنوي هو اللسان.

وهذه أول ثمرة من ثمرات الخطابة.

وللخطابة فوق ذلك ثمرات كثيرة: فهي التي تفض المشاكل وتقطع الخصومات، وهي التي تهدئ النفوس الثائرة، وتثير حماسة ذوي النفوس الفاترة، وترفع الحق وتخفض الباطل، وتقيم العدل وترد المظالم.

والخطابة صوت المظلومين، ولسان الهداية، يتجلى ذلك واضحاً فيما قاله رب العزة على لسان موسى عليه السلام عندما بعثه سبحانه وتعالى إلى فرعون: {إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي} (طه: ٢٤ - ٢٨).

ولا يمكن أن ينتصر صاحب دعاية، ومناد بفكرة، وصاحب إصلاح، إلا بالخطابة، فالخطابة هي الدعامة التي قامت عليها الانقلابات العظيمة والثورات الكبيرة، التي نقضت بنيان الظلم، وهدمت قصور الباطل.

والخطابة قوة تثير حمية الجيوش، وتدفعهم إلى لقاء الموت، وتزيد قواهم المعنوية، ولذلك كان قادة الجيوش المنتصرون في العصور القديمة والحديثة خطباء، ومنهم: الخلفاء الراشدون، وخالد بن الوليد، وطارق بن زياد، كل هؤلاء وغيرهم من القادة حملوا معهم سلاحًا معنويًّا بجوار السلاح الحديدي.

رابعا: أنواع الخطابة:

الناظر في أغراض الخطابة ومقاصدها ومتطلبات المجتمع من ذلك يستطيع إدراك أنواعها ، وهذا سرد لأهم أنواعها :

١ - الخطب النيابية:

وهي الخطب التي تكون في دور النيابة والشورى، عاكسة ما يجري داخل هذه القاعات من مناقشات ومداولات وأسئلة واستجوابات مؤيدة ومعارضة.

٢ - الخطب الانتخابية:

وهي خطب تعد وتلقى من أجل الترشيح والتزكية لشخص أو حزب أو مبادئ، مع ما يشتمل عليه ذلك من رد على المعارضين.

٣ - الخطب الثقافية:

وهي ما يلقى في النوادي الثقافية والأنشطة العلمية والجامعية، وفي العادة تتخذ مسارا ثقافيا وأدبيا وعلميا واجتماعيا وتوجيهيا، بما يبتعد عن الأغراض السياسية والقضائية والوعظ، وتعلو النبرة فيه بما يعرف بالمعارك الأدبية بين المنتدين، حسب اتجاهاتهم الأدبية، شعرا ونثرا وتليدا وجديدا، وهو في العادة خطاب لطبقة مثقفة متأدبة ذات تميز ثقافي خاص.

٤- الخطب القضائية:

ويظهر هذا النوع في دور القضاء وقاعات المحاكم، حين ينبري المدَّعون بإلقاء حججهم والسعي في إثبات دعواهم، فيقابلهم المحامون بالدفاع عن موكليهم بأسلوب خطابي بليغ مؤثر ذي ألفاظ وإلقاء متميز وحركات مدروسة.

٥ - الخطب العسكرية:

وهي ما يلقيه قائد العسكر على جنده وزملائه بغرض بث الروح المعنوية والقتالية فيهم، وبيان شرف موقعهم، وكرم موقفهم، وشرح خططه العسكرية والميدانية، بأسلوب انفعالي مؤثر.

٦ - خطب المنبر والمواعظ:

وهذا هو محل البحث والنظر والتفصيل هنا، وهذا النوع يتجلى في أبهى صوره وكامل هيئته وانتظام شكله في خطب الجمعة المنبرية.

وهي خطب أسبوعية دورية تتخذ أغراضاً عدة، وترمي إلى مقاصد متنوعة، نشير في هذا التعريف إلى نماذج منها، إذ من المعلوم أن هذه المقاصد والأغراض تتجدد وتتنوع حسب حاجات الناس، وتغير الأحوال، وتقلب الظروف، ودواعي التذكير.

المبحث الثاني

خطبة الجمعة

وسنبين فيما يأتي مفهومها وأركانها وشروطها:
فخطبة الجمعة كما بينا متنوعة الأغراض والمقاصد ولا يمكن حصرها في موضوع دون آخر؛ لأنها تدخل في جميع قضايا المجتمع الدينية منها والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وكل ما يطرأ على الناس من مستجدات يجب بحثها ومناقشتها وإبداء الرأي فيها وتوجيه المجتمع نحو أفضل الحلول لكل الصعوبات التي تواجهه، فالخطبة لا تقتصر على الشأن الديني البحت بل تتعدى ذلك لتشمل جميع شؤون الحياة ومرافقها.
ولخطبة الجمعة كما لغيرها من أنواع الخطب أركان وأغراض معينة وشروط لابد من توافرها:
أولا: أركانها:
الصحيح من أقوال أهل العلم أن ركن الخطبة الوحيد هو أقل ما يصدق عليه اسم الخطبة عرفا.
وللفقهاء في مسألة أركان خطبة الجمعة ثلاثة أقوال هي:
القول الأول: ليس لها أركان، بل تحصل بما يقع عليه اسم الخطبة عرفا.
وبهذا قال أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة [1] والإمام مالك في رواية عنه، وهو المشهور من مذهب أصحابه [2].
القول الثاني: لا تحصل إلا بتوفر أركان فيها وهي:
١- حمد الله تعالى.
٢- الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٣- قراءة آية من كتاب الله سبحانه وتعالى.
٤- الوصية بتقوى الله عز وجل.
٥- موالاة الخطبتين مع الصلاة.
٦- الجهر بالخطبتين.
وبهذا قال الشافعية في المشهور من مذهبهم [3] وهو المذهب عند الحنابلة [4].

([1]) ينظر المبسوط ٣٠/٢ ، وبدائع الصنائع ٢٦٢/١ ، والهداية للمرغيناني ٨٣/١ ، وتبيين الحقائق ٢٢٠/٢.
([2]) ينظر: الإشراف ١٣١/١ ، بداية المجتهد ١٦١/١ ، والكافي لابن عبد البر ٢٥١/١ ، والقوانين الفقهية ص (٨٦)، والفواكه الدواني ٣٠٦/١.
([3]) ينظر الوجيز ٦٣/١ ، وحلية العلماء ٢٧٧/٢ ، والمجموع ٥٢٢/٤ ، وروضة الطالبين ٢٤/٢ ، ومغني المحتاج ٢٨٥/١.
([4]) ينظر: الهداية لأبي خطاب ٥٢/١ ، والفروع ١٠٩/٢ ، والمحرر ١٤٦/١ ، والمغني ١٧٣/٣ ، وشرح الزركشي ١٧٥/٢ ، والإنصاف ٣٨٧/٢ - ٣٨٨.

القول الثالث: ليس لها أركان، بل تحتمل بذكر الله - تعالى - على قصد الخطبة، قل الذكر أو كثر، حتى لو سبح أو هلل أو حمد الله - تعالى - أجزأ.
وبهذا قال الإمام أبو حنيفة [1]. والإمام مالك في رواية عنه [2].

ثانيا: شروطها:
شروط الخطبة هي:
١- الوقت وهو بعد الزوال فلا يصح تقديم شيء منها عليه.
٢ – حضور العدد الذي تنعقد به الجمعة، على خلاف بين الفقهاء في العدد الذي تنعقد به الجمعة:
أ - فمنهم من قال تنعقد بثلاثة أشخاص.
وهذا هو قول الحنفية [3] وهو رواية عن الإمام أحمد [4].
ب – ومنهم من قال: أنها لا تنعقد إلا بأربعين.
وهذا هو قول الشافعية [5] وهو الرواية المشهورة عن الإمام أحمد، والمذهب عند أصحابه، وعليه أكثرهم [6].
ج – ومنهم من قال: أنها لا تنعقد إلا بعدد تتقرَّى بهم القرية، ولا تنعقد بالثلاثة والأربعة ونحوهم.
وهو المشهور عند المالكية [7].
٣- تقديم الخطبتين على الصلاة.
٤- الجلوس بينهما وتجب الطمأنينة فيه فلو كان عاجزاً عن القيام وخطب جالساً وجب أن يفصل بينهما بسكتة على الأصح.
٥- رفع الصوت بحيث يسمع أربعين من أهل الكمال وإلا لما حصل المقصود من مشروعية الخطبة.

---

(١) ينظر: المبسوط ٣٠/٢ ، وبدائع الصنائع ٢٦٢/١ ، والهداية للمرغيناني ٨٣/١ ، وتبيين الحقائق ٢٢٠/١.
(٢) ينظر: الإشراف ١٣١/١.
(٣) على خلاف بينهم هل يعتبر الإمام منهم؟ فقال أبو حنيفة ومحمد: ثلاثة سوى الإمام ، وقال أبو يوسف: اثنان سوى الإمام ، ينظر: مختصر الطحاوي ص (٣٥) ، وبدائع الصنائع ٢٦٨/٢ ، والهداية للمرغيناني ٨٣/١.
(٤) وهناك روايات أخرى عن الإمام أحمد ، حيث بلغت الروايات عنه في هذه المسألة سبع روايات ، ينظر: الفروع ٩٩/٢ ، والإنصاف ٣٧٨/٢ ، والمبدع ١٥٢/٢.
(٥) ينظر: الأم ١٩٠/١ ، والمجموع ٥٠٢/٤ ، وروضة الطالبين ٧/٢.
(٦) ينظر: المغني ٢٠٤/٢ ، والفروع ٩٩/٢ ، والمحرر ١٤٢/١ ، والإنصاف ٣٧٨/٢.
(٧) ينظر: بداية المجتهد ١٥٨/١ ، والكافي لابن عبد البر ١٤٩/١ ، والقوانين الفقهية ص/ ٨٥.

٦ - وهل يشترط كونها عربية ؟ الصحيح : نعم، لنقل الخلف عن السلف ذلك. وقيل : لا يجب لحصول المعنى، فعلى الصحيح لو لم يكن فيهم من يحسن العربية جاز بغيرها.
٧ – الموالاة بين الخطبتين.

ثالثا: أغراضها:

وأهم أغراض الخطبة المنبرية (خطبة الجمعة): الدعوة إلى الصلاح والإصلاح، والاستمساك بأمور الشريعة، وإقامة الحق والعدل، ونشر الفضائل.
لذلك فمن أغراض الخطبة :
١ - تثبيت العقيدة وتقوية الإيمان.
٢ - الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه وبيان مزاياه.
٣ - خطب الإصلاح ومحاربة المنكرات.
٤ - خطب ذات موضوع خاص أو مسألة مفردة من مسائل الإسلام كالصلاة والصوم وحقوق الوالدين والجوار وحرمة الزنا والخمر والسرقة ونحو ذلك.
٥ - معالجة القضايا المستجدة بنظرة شرعية.

رابعا: أهميتها:

إن الخطبة كانت ولا تزال من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى باللسان، ولا نتجاوز الحقيقة كثيرًا إن قلنا: إن الخطبة هي أهم وسائل الدعوة الإسلامية، ففي بداية الدعوة كان للخطابة الدور الرئيسي في التبليغ، حيث امتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ربه له بالدعوة جهرًا {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر * قُمْ فَأَنْذِرْ} (المدثر: ١، ٢)، {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (الشعراء: ٢١٤)، {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (الحجر: ٩٤).
ولما نزلت هذه الآيات جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - الخطابة سلاحه في التبليغ، حيث روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (لَمَّا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (الشعراء: ٢١٤)، دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بن كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا) أي: إن لك قرابة وسأصلها كما أمرني الله سبحانه وتعالى.
إضافة إلى ذلك فقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخطابة وسيلة للدعوة عند استقباله للوفود التي كانت تتوالى عليه، معربة عن قبولها للإسلام دينًا.
كما كانت الخطابة منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في توجيه قيادة الجيوش الإسلامية الذاهبة لنشر الإسلام في كافة الأنحاء، فكان صلى الله عليه وسلم يأمر مَن يراه أهلًا للخطابة بأن يخطب بحضرته.

ويتضح هذا في موقفه صلى الله عليه وسلم من وفد بني تميم، حين دخل الوفد إلى المسجد النبوي الشريف ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته: "يا محمد: أخرج إلينا، يا محمد أخرج إلينا، فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم؛ فقالوا: يا محمد جئناك نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، فقال عليه الصلاة والسلام: (قد أذنت لخطيبكم فليقل)، فقام أحدهم فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظاماً، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره عدداً، وأيسره عدة، فمن مثلنا في الناس؟! ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم، فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، وأن لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نُعرف بذلك، أقول هذا؛ لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس: (قم فأجب الرجل في خطبته).

فقام ثابت رضي الله عنه فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه السموات والأرض، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولًا، أكرمه نسباً، وأصدقه حديثاً، وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين. ثم دعا الناس إلى الإيمان به فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس حسباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعالًا، ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله -صلى الله عليه وسلم- نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبدًا، وكان قتله علينا يسيرًا، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم ورحمة الله".

ثم اتخذ الخلفاء الراشدون وأولو أمر المسلمين من بعدهم -في كل زمان ومكان- الخطابة وسيلة لنشر الإسلام، وتثبيت دولته، إما بأنفسهم مباشرة وإما بتكليفهم من يقوم بها على وجهها، وذلك لاعتقادهم أن الخطابة في الإسلام هي مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل ومع المكان من قطر إلى قطر.

وذاك هو السر في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب كل أسبوع وكل عيد، ويخطب أو ينيب عنه أميرًا يخطب في وفود الحجيج عند جبل الرحمة، ولأهمية الخطابة ومكانتها في الدعوة الإسلامية جعلها الإسلام الحنيف شعيرة من أهم شعائره، في كافة المناسبات الدينية والدنيوية؛ دعمًا للحق وهدمًا للباطل.

ومن أهم هذه المناسبات: مناسبات أسبوعية وأخرى سنوية وثالثة طارئة، ففي كل أسبوع يحتشد المسلمون في المسجد الجامع؛ ليسمعوا إلى الخطيب داعياً إلى الله تعالى يذكر به ويعلم دينه، وفي كل عيد يجتمع المسلمون في جوامعهم، ليسمعوا التوجيه المناسب بعد صلاة العيد، وفي كل موسم جامع للحجيج تلتقي وفود الأمة الإسلامية المترامية الأطراف حول عرفة، لتستمع إلى خطاب خطير يتناول شؤونها

ويشرح قضاياها ومبادئها، وفي الأمور الطارئة كالخسوف والكسوف والجدب يجتمع المسلمون للصلاة والابتهال إلى الله تعالى، ولسماع خطيب يذكرهم بنعم الله تعالى على الناس خاصة، وسننه في خلقه عامة، ويخوفهم بما أراهم الله تبارك وتعالى من الآيات لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرًا.

إن فضل الخطابة عظيم، وشرفها جسيم، وفضل العلوم والصناعات وشرفها إنما هو بشرف غاياتها وأهدافها، وللخطابة غاية ذات شأن خطير وهي إرشاد الناس إلى الحقائق، وحملهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل، وفوائد الخطابة جمة؛ فالخطابة تنقل السامع من موقف إلى آخر، ومن عقيدة إلى أخرى باعثة في السامع نزعة للعمل الإيجابي فيما كان يقف موقفًا سلبيًّا، فغاية الخطابة هي تحويل الأفكار الذهنية الجامدة إلى عواطف متحركة.

إنها مهمة الأنبياء ووظيفة المرسلين والخلفاء والمصلحين، من قام بها على الوجه الأحسن والأكمل كان من الرابحين الفائزين، وهل كان شغل الأنبياء والمرسلين إلا دلالة الخلق على الله، وحثهم على الخير ونهيهم عن الشر، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتذكيرهم بين الحين والحين بما يصلحهم في دنياهم، ويسعدهم في عقباهم.

والذي يمعن النظر في الخطب النبوية يجد أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بالخطبة إلى العقيدة الصحيحة، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، ومواجهة الأعداء بالقول الحسن والدليل الصحيح والبرهان الساطع، وكذلك فعل الصحابة رضي الله عنهم من بعده، وفعل التابعون لهم بإحسان.

وبالخطبة أيضًا دافع النبي صلى الله عليه وسلم عن الحق، وهاجم الباطل، وألزم الخصوم، وأفحم المعاندين ورد كيدهم في نحورهم.

خامسا: كيفية إعداد الخطبة:

يمكن عرض الخطوات اللازمة لإعداد الخطبة على النحو التالي:

١ - إختيار الموضوع:

٢ - جمع النصوص والنقول والأفكار والعناصر للموضوع المختار:

فبعد الجمع سيتضح للخطيب أن مادة الخطبة: إما أن تكون كثيرة فيقسمها إلى أكثر من موضوع، وإما أن تكون مناسبة فيكتفي بها، وإما أن تكون قليلة فيزيد البحث في مظان أخرى، فإن ضاق عليه الوقت أجَّل هذا الموضوع، وبحث عن موضوع آخر تكون مادته متوافرة.

وينبغي في الجمع مراعاة ما يأتي:

أ - البدء بالمصادر المتخصصة وجعلها أصلاً، ثم البحث عن مصادر أخرى مساعدة؛ فلو اختار مثلاً موضوع (الشكر) فإنه يبدأ بالكتب المتخصصة في ذلك: ككتاب الشكر لابن أبي الدنيا، ثم يرجع إلى آيات الشكر في القرآن، وما قاله أهل التفسير، ثم الأحاديث وشروحها، ثم أبواب الشكر في كتب الآداب والمواعظ

والأخلاق..؛ لأن الكتب المتخصصة في الموضوع ستكفيه ما يقارب ثلثي الموضوع أو نصفه على الأقل؛ فتخفف عنه مؤنة البحث والتقصي. والكلام على مصادر الخطبة يحتاج إلى مقدمة مستقلة.

ب - أن ينطلق في عناصره وأفكاره من النصوص التي جمعها؛ فذلك أدعى للإقناع، وأيسر عليه. وبعض الخطباء قد تقدح الفكرة في ذهنه فتعجبه فيكتبها، ثم يعيا في البحث عن دليل يعضدها، ويقنع السامع بها؛ فيضيع وقته هدراً في ذلك، ثم يشعر باليأس، وربما توقف عن الكتابة، أو يذكرها بلا دليل فلا تقنع السامع، وربما كانت خاطئة وهو لا يدري.

ولذا فإن صياغة الأفكار، ووضع العناصر على ضوء النصوص والنقول التي جمعها يُؤَمِّنُه من الخطأ بإذن الله تعالى، ويريحه من التعب، ويقنع المستمعين؛ وبناءً عليه فإن جمع النصوص والنقول يكون قبل وضع الأفكار والعناصر للموضوع.

٣ – وضع عناصر رئيسة للخطبة:

فبعد اختيار النصوص والنقول التي سيجعلها في خطبته، يضع لها عناصر مختصرة (عناوين تدل عليها)؛ فمثلاً عنده نص وهو قول الله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧]، يجعل له عنواناً أو عنصراً: (الشكر يزيد النعمة)، وهكذا في بقية النصوص والنقول.

٤ – ترتيب العناصر الرئيسة للخطبة:

وهنا يبدأ الخطيب بترتيب العناصر التي وضعها بنصوصها حسب رؤيته التي يراها مناسبة لوضعها في الخطبة، فيجعل العناصر المترابطة متوالية؛ فمثلاً في موضوع الشكر سيكون عنده عناصر في فوائد الشكر، وعناصر في عاقبة الكفر (كفر النعمة)، وعناصر في نماذج للشاكرين، وعناصر في نماذج لمن كفروا النعمة..، فيضم العناصر بعضها مع بعض تحت موضوعاتها. ويكون هذا الترتيب بالترقيم والإشارة إلى العناصر لا بالكتابة من جديد، حتى لا يُثقِل على نفسه، ثم يسير في صياغة الموضوع وفق الأرقام التي لديه؛ فلا يفوته شيء، ويكون موضوعه مترابطاً منسجماً.

٥ – يقسم الخطبة على مرحلتين:

فبعد الفهرسة والترتيب يقرر ما للخطبة الأولى، وما للثانية من العناصر المذكورة.

٦ – صياغة الخطبة:

وهان ثم يبدأ بالصياغة حسب الخطة التي وضعها، والمادة التي جمعها.

وهناك أمور ينبغي التنبه لها أثناء الصياغة منها:

أ - الإخلاص لله تعالى في كتابته، واستحضار النية الخالصة، ومجاهدة النفس في ذلك؛ فلا تعجبه نفسه أثناء الكتابة، أو يتذكر مدح المصلين له، وماذا سيقولون عن خطبته؛ فإنه إن أخلص لله ـ تعالى ـ بارك الله في كتابته وجهده، ونفع به الأمة.

ب - أن يعيش مع الخطبة بقلبه، ويضع نفسه محل السامع؛ أي كأنه المخاطب بهذه الخطبة؛ لأن ذلك سيجعله يختار العبارات التي يرضاها ويحبها وتقنعه؛ فمثلاً لو كان

يوجه نصيحة لواقع في معصية معينة؛ فليضع نفسه مكان صاحب هذه المعصية، وكأنه المخاطب بهذا الخطاب؛ فذلك أدعى للتأثر، وأجود في انتقاء الألفاظ المناسبة.
وبعض الخطباء الذين لا يراعون هذه الناحية تجدهم يترفعون على صاحب المعصية، ويخاطبونه من علو؛ فيكون عتابهم عنيفاً، وربما لا يقبله صاحب المعصية، لكنه لو وضع نفسه مكان صاحب المعصية، وبدأ بالعتاب فسيكون عتاباً رقيقاً، تقبله النفوس وتتأثر به.
ج - إنْ أحسّ الخطيب أن القلم لا يجاريه في الكتابة، وأن أفكاره مشتتة، وذهنه مشوَّش فليتوقف عن الكتابة حتى يزيل ما يشغله أو ينساه، ثم يعود إليها مرة أخرى.
د - إذا أشكلت عليه بعض الكلمات أو الجمل من جهة إعرابها، أو صرفها، أو دلالتها على المعنى الذي يريده، أو كونها غير فصيحة فله خياران:
١ - الرجوع إلى المعاجم اللغوية للتأكد من صحة الكلمة، ومناسبتها للمعنى الذي أراده، أو سؤال من يعلم ذلك من أهل اللغة والنحو.
٢ - استبدال الكلمة أو الجملة التي يشك فيها بكلمة، أو جملة أخرى يعلم صحتها، واللغة العربية غنية بالمترادفات من الكلمات والجمل.
هـ - العناية بعلامات الترقيم، وبداية الجمل ونهايتها؛ حتى يعينه ذلك على قراءة الخطبة بشكل صحيح، وعدم التعتعة والإعادة، وكثرة التوقف والتلكؤ.

سادسا: أجزاء الخطبة:

هناك عناصر وأجزاء لخطبة الجمعة لابد للخطيب أن يراعيها حتى تكون خطبته مسموعة وكلامه أكثر توجيها، وهذه الأجزاء تتمثل بما يأتي:

أولاً: المقدمة:

وهي التي يستهل بها الخطيب خطبته، ويهيئ السامعين لسماعها، ويجذبهم بها إليه. ونجاح الخطيب فيها كفيل بالنجاح في بقية خطبته؛ إذ إن عسيرات الأمور بداياتها. وينبغي أن يراعي الخطيب فيها جملة أمور منها:
أ - أن تكون ذات صلة وثيقة بموضوع الخطبة، وممهدة له، ومهيئة الأذن لسماعه. قال ابن المقفع: "وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك".
وعلق عليه الجاحظ فقال: "فرِّق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد، وخطبة الصلح، وخطبة الواهب؛ حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه؛ فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت؛ والغرض الذي إليه نزعت".
ب - أن تكون مناسبة في طولها وقصرها لمجموع الخطبة، والملاحظ أن بعض الخطباء يطيل في المقدمة إطالة قد تستوعب أكثر الخطبة أو نصفها، وهذا قد يصيب السامعين بالملال، وربما يئسوا من الدخول في الموضوع، فانصرفت أذهانهم عن الخطيب. وعكس هؤلاء الخطباء مَنْ لا يعتنون بالمقدمة، فيشرعون في

الموضوع مباشرة، ولمَّا يتهيأ المستمعون بعدُ، وكِلا الأمرين غير حسن، والمطلوب: الاعتدال في ذلك.

ثانياً: صُلْب الموضوع:

فبعد أن يمهد الخطيب لموضوعه في المقدمة، ويتهيأ السامعون لسماعه؛ يبدأ في الموضوع، وينبغي أن يراعي ما يلي:

أ - ترتيب الأفكار وتسلسلها: بحيث لا ينتهي من فكرة إلا وقد أعطاها حقها من الاستدلال والإقناع، سواء كان الاستدلال لها بالنقل أم بالعقل، ولا يقفز إلى فكرة أخرى، ثم يعود إلى الأولى مرة أخرى؛ فإن ذلك يُربك السامع ويشوش عليه. ولا يتأتى ذلك للخطيب إلا إذا جمع مادة الخطبة من نصوص واستدلالات ونقولات وأفكار، ثم سلسلها ورتبها قبل أن يبدأ بصياغتها.

ب - التوازن بين الأفكار: فلا يُشبع فكرة ويطيل فيها على حساب الأخريات. ومما يلاحظ عند كثير من الخطباء عدم التوازن في ذلك؛ فتراه في أول الخطبة يُشبع كل فكرة ويطيل فيها، ويحشد النصوص لها، ثم لما يحسّ بأنه تعب، وأتعب السامعين، وأطال عليهم؛ سرد الأفكار الباقية سرداً بلا استشهاد ولا إقناع، رغم أهميتها، وربما تكون أهم مما طرحه في الأول، وسبب ذلك أن الخطيب ليس عنده تصور كامل لخطبته وما فيها من مادة، وكم تستغرق من وقت؟

وعلاج هذه المشكلة: أن يقدر الخطيب وقت خطبته، ويُستحسن ألا تزيد عن ثلث ساعة، فإن زاد لأهمية الموضوع فنصف ساعة على الأكثر لكِلا الخطبتين. ويقدر كم تكون من ورقة حسب خطه وإلقائه، ويحسب كم فكرة عنده، وكم لها من نص، ومن ثم يسجِّل الأفكار مع نصوصها، وما تحتاجه من صياغة على الأوراق التي قدَّرها من قبلُ، فلا تخلو حينئذ من إحدى حالات ثلاث:

١- أن تكون الأفكار بنصوصها وصياغتها متناسبة مع حجم المساحة التي قدرها - أي زمن الخطبة فيبدأ بالصياغة مرتباً الأفكار كما سبق ذكره، معطياً كل فكرة حقها من الأسطر بلا زيادة ولا نقص إلا شيئاً يسيراً لا يُخلُّ بالخطبة.

٢ - أن تكون الأفكار بنصوصها وصياغتها أقل من المساحة التي قدرها، وفي هذه الحالة له خيارات عدة:

أ - أن يقصر الخطبة فتكون أقلَّ من ثلث ساعة، فهو ينظر إلى استيعاب الموضوع، ولا يلتفت إلى الوقت.

ب - أن يزيد أفكاراً ذات صلة بالموضوع بقدر المساحة المتبقية.

ج - أن يسترسل في الصياغة؛ أي: يطيل في صياغة كل فكرة، بحيث يغطي النقص.

د - أن يزيد في الاستدلالات لكل فكرة.

٣ - أن تكون الأفكار بنصوصها وصياغتها أطول من المساحة المقدرة؛ فإن كان الطول يسيراً فيمضي، وإن كان كثيراً فلا يخلو من إحدى حالتين:

أ - يمكن قسمة الموضوع إلى موضوعين فأكثر؛ بحيث يكون كل موضوع وحدة مستقلة، فيقسمه. مثال ذلك: لو أراد الخطيب أن يتكلم عن حشر الناس يوم القيامة، وابتدأ حديثه منذ بَعْثِهم من قبورهم ثم حَشْرهم في العرصات... فسيجد أن موضوع

البعث صالح لأن يكون موضوعاً مستقلاً؛ لكثرة ما فيه من نصوص، وهكذا موضوع الحشر، ثم ما بعد الحشر وهو فصل القضاء، فيجعلها موضوعات عدة.
ب - لا يمكن قسمته بهذا الشكل؛ كأن يكون الموضوع بطوله وحدة متكاملة لا تُجَزَّأ.
مثال ذلك: الحديث عند فوائد الأمراض، وهي كثيرة، وفيها نصوص كثيرة أيضاً؛ فلو قدرنا أن فوائد الأمراض المنصوص عليها عشرون فائدة، وفيها من النصوص ثلاثون نصاً؛ فلا شك أن خطبة واحدة لا يمكن أن تستوعبها ولا اثنتين؛ لكن بالإمكان ذكر سبع فوائد في كل خطبة؛ بحيث تصير ثلاث خطب، أو عشر فوائد في كل خطبة؛ بحيث تصير خطبتين؛ فيسرد الخطيب في كل من الخطبتين أو الثلاث فوائد الأمراض جملة وتفصيلاً في الفوائد التي اختارها لهذه الخطبة بنصوصها. ثم في خطبة أخرى يسرد ما فصّله في الأولى جملة، ويفصل فيما لم يذكره وهكذا. ويكون عنده أكثر من خطبة في الموضوع.

ثالثاً: الخاتمة:

إن بعض الخطباء يجعل الخاتمة في الخطبة الأولى، وينتقل في الخطبة الثانية إلى موضوع آخر في الغالب يكون موضوعاً وعظياً معتاداً يذكِّر بالنار، ويحث على التقوى، ويكون مسجوعاً، وهذا الأسلوب كان مستخدماً عند خطبائنا قبل سنوات، ولا يزال بعض كبار السن منهم ينهجونه إلى اليوم.

سابعا: الخطبة المؤثرة:

إذا أردت ان تكون خطبتك مؤثرة فلابد من شمولها على ركائز أساسية يمكن حصر ذه الركائز بما يأتي:

١ - قصر الخطبة وطولها:

وذلك حسب ما يتطلبه موضوعها، حيث لايمكن الحكم على جودة الخطبة أو عدم تأثيرها في السامعين بمجرد قصرها أو طولها؛ لأن الخطبة كما قلنا تتأثر بعوامل وظروف هي التي تحكم على الخطيب أن يقصر خطبته أو يطولها، ومن تلك العوامل:

أ – طبيعة الموضوع الذي يفرض على الخطيب أن تكون خطبته فيه مطولة أو قصيرة، وذلك بالنظر إلى أهميته بالنسبة للمستمعين، أو الظرف الذي يمر به المجتمع.

ب – سعة وضيق مساحة المسجد الذي تقام به الجمعة، وكثرة المصلين فيه أو قلتهم عامل يفرض على الخطيب ان تكون الخطبة طويلة أو قصيرة.

ج – وهناك عامل ثالث يؤثر في طول الخطبة وقصرها، وهو ما يطرأ على الناس من أحوال تؤدي إلى اضطراب وضعهم وانشغال نفوسهم وعقولهم بما يحدث لهم كمجتمع أو للمسلمين عامة من أمور لها آثارٌ سلبية على عقيدتهم وأخلاقهم وأمنهم واستقرارهم.

ومع ذلك كله فعلى الخطيب ان يلتزم بتوجيهات سيد الخطباء سيدنا محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم - الذي رغب أن تكون الخطبة قصيرةً؛ وذلك لكيلا يمل المستمع ولتكون الخطبة محددة الموضوع ومؤثرة في الناس.

فقد روى الامام مسلم في صحيحه عَنْ وَاصِلِ بْنِ حَيَّانَ، قَالَ: قَالَ أَبُو وَائِلٍ: (خَطَبَنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ الرَّجُلِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا").

وقوله: (مَئِنَّةٌ) : أي علامة، فهي على وزن مفعلة والميم زائدة، كقولهم: مخلقة، ومعناه: أن هذا مما يستدل به على فقه الرجل. والله أعلم...

٢ - اشتمال الخطبة على الآيات القرآنية:

لابد للخطيب أن يعتمد بالشكل الأساس على القرآن الكريم، وأن تشتمل خطبته على آيات من كتاب الله عز وجل، مهما كان يمتلك من أسباب البيان، وقوة العبارة، وجزالة الأسلوب، فالاستشهاد بالآيات القرآنية تعطي الخطبة رونقاً جميلاً، وتقوي حجة الخطيب، وتجعله ينطق بالحق، لاسيما إذا كان يعرف كيف يوظف تلك الآيات حسب ما يتطلبه ظرف الخطبة ووقتها المناسب، والموضع المناسب لكل آية يتلوها.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحيان يجعل خطبته أو جلها تلاوة سورة من القرآن؛ لما يشتمل عليه من ابتداء الخَلْق والبعث، والحساب، والجنة، والنار، والترغيب والترهيب.

ومما ينبغي التنبيه له عند الاستشهاد بالآيات القرآنية في الخطبة ونحوها ما يلي:

أ- الحذر من الخطأ في تلاوة الآية ، فإن هذا مما يعيب الخطيب ، ويفسد عليه جمال أفكاره ، وأهمية موضوعه ، ويصرف السامع عن التأثر بالخطبة إلى التصحيح والنقد ، وتتبع الأخطاء ، فينبغي على الخطيب حفظ الآيات التي يستشهد بها في الخطبة حفظا دقيقا وسليما ، فإن لم يتيسر له ذلك فلتكن مكتوبة يرجع إليها عند الحاجة ، حتى ولو كان مرتجلا لخطبته ارتجالا .

ب- الحذر من قراءة الآية بقراءة غير معروفة ولا مشهورة لدى السامعين؛ لأن هذا من شأنه أن يشوش أذهان السامعين، ويصرفهم عن تدبر المعنى إلى الوقوف عند اللفظ، ومن كان محدثا للناس فليحدثهم بما يعرفون، وليترك ما ينكرون.

روي عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله".

فإن أحب الخطيب أن يلفت النظر إلى معنى يكون في قراءة دون أخرى، فلينبه إلى أن ذلك في قراءة " فلان " وهي قراءة متواترة.

ج- الحذر من الاستشهاد بالآية في غير موضعها، وإنزالها على غير واقعها، والتكلف في حمل الآية على حادثة معينة، أو على جماعة معينة، أو واقع معين، مما يعد من التحريف، وتحميل الألفاظ فوق ما تحتمل.

وعلى ذلك فلا بد من الاطلاع على تفسير الآيات من كتب التفسير المعتمدة، فلا أقل من أن يطلع على تفسير واحد من هذه التفاسير؛ حتى يكون على علم بفهم السلف للآيات وتأويلها، مما يقيه من التأويلات الباطلة، والأقوال الواهية في ذلك.
د- الحذر من إقحام الآيات المتشابهة أو المحتملة المعاني في مواطن الخلاف بين المذاهب، والجماعات الإسلامية، وجعلها نصا قاطعا في الرد على بعضها، أو نصا له فيما يذهب إليه من رأي، وإنما حسبه في ذلك أن يبرز دلالة الآية القرآنية كما فهمها علماء الأمة الربانيون، وليكن دور الخطبة هو جمع الأمة وتأليف القلوب على منهج علماء الأمة وسلفها، لا في تفتيت صفها، وتمزيق وحدتها، وهذا يتطلب سعة صدر وحكمة.
ه- الحذر من إقحام الآيات في مجال المخترعات الحديثة أو الصناعات والوسائل العلمية المستجدة، ما لم يكن ذلك نصاً أو معنى راجحاً مرضياً من العلماء الأخيار، فإن ولوج ذلك الباب لا يخلو من التكلف والتعسف في لي النصوص وتحميلها ما لا تحتمل من المعاني، وهذا باب يستهوي كثيراً من الخطباء رغبة في التميز، وإعجاب الناس بسعة علمه، وثقافته، ودقة نظره، واستنباطه للطائف المعرفة، وهو أمر محفوف بالمخاطر، ربما يفتح الباب للتأويلات الفاسدة، والتجرئ على الخوض في أمور من العلم لا يحسنها.
و- الحذر أيضا من التكلف في تطويع الآيات للمناسبات المختلفة سواء أكانت مناسبات عامة أو خاصة.

٣ – اشتمال الخطبة على الأحاديث النبوية:

من المعروف أن السنة النبوية شارحة لكتاب الله مفصلة لمجمله مبينة لغاياته، لذا فإنه لابد للخطيب أن تشتمل خطبته على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك لأن الخطيب لا يمكن أن يستغني عنها ليقوي بها حجته ويدعم قوله ويهذب أسلوبه.
ومع ذلك كله فلا بد للخطيب عند اعتماده على الأحاديث أن يتجنب بعضاً من الأمور الآتية:
أ - تجنب ذكر الأحاديث الموضوعة، والواهية، فإنه لا خير فيها، ولا نور عليها، بل إن ذكرها وحملها وتبليغها إلى الناس له دور خطير في نشر العقائد الفاسدة، والبدع والضلالات، لا سيما وأن العامة لا تمحيص ولا تثبت لديهم، فسرعان ما تنتشر مثل هذه الأمور فيما بينها لتعلقها بالغرائب، مع الاستهانة بما يترتب عليها من مفاسد.
ب - تجنب الأحاديث الضعيفة؛ لأن في الصحيح ما يغني الخطيب عن الضعيف، ولا يخفى ما في نشر الأحاديث الضعيفة من آثار سيئة على الأمة في عقيدتها وفي سلوكها، فكم من حديث ضعيف أو واه، تناقله الناس محتجين به اعتمادا على إيراد الخطيب له، وكم من عادة تشبث بها الناس كان مستندها حديثا ضعيفا، إلا إذا كانت للحديث طرقٌ كثيرةٌ يتقوى بها، أو كان موضوع الحديث في فضائل الأعمال.
ج - تجنب التحريف في المعنى والتكلف في حمل الحديث على غير ما يحتمله معناه لتقوية رأي، أو مذهب، أو جماعة، أو نصرة فئة على فئة، فإن بعض الخطباء يبالغ

في مثل هذا فيشعر السامعين أن الحديث إنما ورد في بيان قوة هذا الرأي، أو في بيان فساد تلك الجماعة بعينها.

٤ – وهناك أمور لا يستغني الخطيب عنها عند كتابته لخطبته أو تحضيره لها وهي على وجه الإجمال لا التفصيل:

أ- أن تكون الخطبة مشتملة على الأمثال الهادفة والقصص المؤثرة التي يتعظ الناس بسماعها ويأخذوا منها الدروس المفيدة.

وليحذر الخطيب في هذا من الإكثار من الأمثال الشعبية، أو ذكر الأمثال الساقطة والمبتذلة، وما يشتمل على سوء أدب، أو إيذاء للأسماع، فإن ذلك سيئ الأثر على النفوس، وربما أدى إلى تثبيت وتأكيد مفاهيم اجتماعية خاطئة، أو مخالفة للشرع، ويكون الخطيب بذكرها أحد المروجين والناشرين لها، ولذلك فإن العلماء ذكروا لضرب المثل شروطا أربعة:

الأول: أن تكون روايته خالية من كل تعقيد ليصل المقصود منه إلى ذهن السامع.

الثاني: أن لا يكون مسهبا مملا.

الثالث: أن يهيج السامع بحلاوة أسلوبه، ويجذب فكره بجزل كلامه، وابتكار معانيه، ويضبط عقله في فهم الرواية المختلفة، وفض مشكلها.

الرابع: أن يورد المثل بصورة محتملة أي: مقبولة سواء من جهة اللفظ أم من جهة المعنى.

ب – الاستشهاد بالشعر فإنه يزين الخطبة ويهذبها ويشد السامع إليها، فقد ورد في الحديث (وإن من الشعر لحكمة).

المبحث الثالث

الخطيب وصفاته ونماذج من الخطب

في هذا المبحث سنتكلم عن الخطيب ونبين ما المقصود منه ثم نتطرق إلى صفاته الشخصية والخلقية، ثم العلوم التي يحتاجها الخطيب:

فالخطيب: هو الشخص الذي يقوم بإلقاء الخطبة، وهو يحتاج إلى أمور عديدة ليستطيع القيام بمهمته بنجاح.

منها: صفات شخصية، وصفات خلقية، وعلوم أساسية، وعلوم تكميلية.

أما صفاته الشخصية فهي:

١ - الاستعداد الفطري:

فليس كل إنسان يصلح للخطابة، مهما علا شأنه وارتفعت مكانته، فالخطيب هو الذي يتفاعل مع الأحداث، وينطلق لسانه للتعبير عنها.

٢- الذكاء وحضور الذهن:

ليستطيع أن يلمح مدى تفاعل الجمهور معه، فيغير نغمته في الوقت المناسب، ويتكلم بالكلام في الزمان والمكان المناسبين.

٣- رباطة الجأش والتحكم في النفس:

لأن للمنبر رهبة، وللناس مهابة، فقد سئل عبد الملك بن مروان، ما الذي أسرع بالشيب إليك؟ قال كيف لا أشيب وأنا أعرض عقلي على الناس كل أسبوع مرة.

فالخطيب يجب أن يتحكم في مشاعره؛ لأن الذي لايكون سيداً على أهواء نفسه لا يستطيع أن يتحكم بأهواء من سواه.

٤- صدق الحس والعاطفة:

سئل الحسن البصري عن الخطباء والوعاظ، ما بال بعضهم تؤثر فيك موعظته بينما الآخر لا يهز منك شعرة؟..

فقال: إذ خرج الكلام من القلب بلغ إلى الجَنان، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان.

٥- القدرة على التمثيل:

بحيث يستطيع أن يعبر بقسمات وجهه، وحركات يديه، عن كثير من المعاني التي يعجز عنها اللسان.

فإذا احتاج إلى الغضب كان غضبه خطابياً لا انفعاليا؛ لأن الغضب الانفعالي يمنع المرء من الحكمة، لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب إلا لله، ويوصي أصحابه بعدم الغضب.

٦- الفصاحة والبلاغة الفطرية:

ومن البلاغة: الإيجاز في موضعه، والإطناب في موضعه، ولما سأل خطيبٌ أطال في الخطبة أعرابياً ما تعدون العيَّ فيكم ؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم.

والعيُّ: أن تتكلم فوق ما تقتضيه حاجتك.

٧- حسن الصورة وكمال الهيئة:
وكان العرب يحرصون في خطيبهم على أن يكون مهيباً، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختار عبادة بن الصامت للخطابة بين أيدي الوفود؛ لمهابته في النفوس، ويختار سفراءه من حسان الوجوه، الذين يحسنون التصرف في المواقف.
٨- قوة الشخصية:
فقوة الشخصية تؤثر في الآخرين، دون أن يتأثر بغيرها إلا على سبيل المشورة والنصح.
وكثيراً ما نرى بعض الخطباء أو المفتين والموجهين يكونون أبواق دعاية لما يريده بعض الناس، وهذا من أكبر الخطأ.

أما الصفات الخُلُقِيَّة التي يحتاج إليها:
١- الإخلاص لله تعالى:
لأن كل عمل نزع منه الإخلاص كان عديم البركة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى في الحديث القدسي: (من عمل عملاً مما يبتغي به وجهي، أَشْرَكَ فيه معي غيري تركته وشركه).

٢- حب الخير للناس والحرص على نصحهم:
لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبذل جهده وطاقته في الدعوة، حتى قال له رب العزة واصفاً حرصه على النصح وحب الخير للآخرين (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا).
٣- التواضع لله ، والتواضع للناس:
لأن الغرور هو الذي أخرج إبليس من الجنة، والتكبر على الناس يجلب مقتهم وكرههم.
فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدم أصحابه وهو سيدهم، ويحدثهم كحديث أحدهم.
٤- صدق الحديث:
لأن من عرف بالكذب تجنبه الناس ولم يسمعوا له (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا).
٥- العمل بما يقول ربنا سبحانه وتعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون).
قال مالك بن دينار: إذ ا خالف عمل الواعظ قوله، زلت موعظته عن القلوب، كما تزل القطرة على الصفا.

٦- نظافة الملبس وحسن التجمل في الثياب دون إسراف:

قال الشافعي رحمه الله تعالى :

حَسِّنْ ثِيَابَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهَا ... زَيْنُ الرِّجَالِ بِهَا تُعَزُّ وَتُكْرَمُ

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الثياب البيض في المناسبات.

٧- الابتعاد عن خسائس الأمور وسقوط الهمة:

فلا يصلح أن يكون الخطيب جشعاً، أكولاً بشراهة، يخوض فيما هب ودب، ينازع الناس في سفاسف الأمور؛ لأن من كان كذلك سقطت حرمته من أعين الناس.

وقد ورد في صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس بفاحش ولا متفحش ولا صخاب في الأسواق، يجزي بالحسنة الحسنة، ولا يجزي بالسيئة السيئة).

٨- الشجاعة في الحق دون تهور:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) وقال عليه الصلاة والسلام: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ).

بعد هذه الصفات التي على الخطيب أن يكون متحليا بها لابد من القول بأنه يحتاج إلى علوم كثيرة تثري عقله، وتصقل موهبته وتهذب لسانه، وترفع مكانه بين أقرانه، منها ما هو أساسي له لا يستغني عنه، ومنها ما هو تكميلي.

أما العلوم الأساسية التي يحتاج إليها:

١- القرآن الكريم:

وذلك بحسن تلاوته، وجودة أدائه، ودقة حفظه، مع القدرة على الاستشهاد بالآيات القرآنية في مواضعها المناسبة.

والخطبة تعلو قيمتها ويقوى تأثيرها بشواهدها القرآنية، مع الأخذ بحظ لا بأس به من علم التفسير.

٢- الحديث الشريف:

والحديث النبوي لا يقل شأناً عن القرآن الكريم، فلابد للخطيب أن يحفظ جوامع الكلم، ويتجنب الاستشهاد بالموضوعات والإسرائيليات، فإن في الصحيح ما يغنيه ويهذب أسلوبه.

٣- اللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغة:

فما أقبح الخطيب الذي يقف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلحن في لغة القرآن، فربما يقول كفراً وهو لا يعلم، كالذي قال (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بالجر – أعاذنا الله وإياكم.

ولنعلم جيداً: إن الخطيب لتعلو بين الناس مكانته بمقدار تمكنه من اللغة العربية، وتسقط مهابته بمقدار لحنه.

٤- علم السيرة:
فالقصص لها تأثير بليغ في إيصال المعاني المطلوبة إلى القلوب، لذا كثر إيرادها في القرآن الكريم (نحن نقص عليك أحسن القصص) وأحسن القصص سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ لأنه تفسير عملي للقرآن.
٥- علم الفقه:
فالخطيب يعد قائداً دينياً، يتوجه إليه الناس بأسئلتهم الشرعية ومشكلاتهم الاجتماعية، فإن لم يستطع الإجابة عليها نزلت مكانته في قلوبهم، ولا يعني هذا أن يتكلف علم ما لا يعلم، بل يجب عليه أن يتعلم "لا أدري" حتى لا يقول ما ليس من الشرع أو يفتي بغير ما يريده الله ورسوله.
٦- علم النفس:
لأن وظيفته الأساسية هي القدرة على التأثير في النفوس وتوجيهها إلى الخير، فإذا لم يعرف خصائص النفوس، ومفاتيح أقفالها، لم يستطع إيصال كلمته إلى سويداء قلوب الناس.
ومن أحسن كتب علم النفس الإسلامي كتاب (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي.
٧- معرفة أوضاع مجتمعه وهموم الناس وعاداتهم:
ليستطيع أن يختار الموضوعات المناسبة والأوقات المناسبة لعرضها، فليس من الحكمة مخاطبة الفقراء بالزهد، وهم لا يملكون ما يأكلونه، بل الواجب على الخطيب أن يحثهم على العمل وكسب الرزق مع الرضا بما يقدر لهم.

وأما العلوم التكميلية التي يحتاج إليها:
فإن الخطيب لا بد أن يلم من كل علم شيئاً ولو يسيراً، وأهم هذه العلوم التكميلية:
١- علم الأدب:
لأن من تعلم الأدب سمى طبعه، ورقت مشاعره، وتهذب لسانه، وقد جبل الناس على حب الشعر والطرائف.
٢- علم التاريخ:
ليستطيع نقل الناس من عصر إلى عصر، ومن أمة إلى أخرى، فالتاريخ سِجِلٌّ تجارب الأمم، ووثيقة شاهدة على العصور الماضية.
٣- الأوضاع الراهنة في العالم:
حتى لا يظهر أمام الناس كالذي يعيش في غير دنياه، بدون أن يتحسس ظروف مجتمعه، وما يطرأ عليهم من مستجدات، يجب أن يتطرق إليها في الخطبة.
٤- مصادر إسلامية قديمة:
وهي ما عدا التفسير وشروح السنة من كتب العقائد والأحكام والمواعظ والأخلاق والرقائق وغيرها، يختار منها الخطيب ما يناسب موضوعه تأصيلا واستدلالا وأسلوبا.
ونذكر هنا على سبيل المثال: كتب (مدارج السالكين) و (وزاد المعاد لابن القيم) و (الإحياء للغزالي) و (مختصره) و (صيد الخاطر لابن الجوزي) و (أدب الدنيا والدين

للماوردي) و (روضة العقلاء للبستي) و (جامع العلوم والحكم لابن رجب) وغيرها من كتب المواعظ والحكم والفضائل.

٥- كتب الأدب القديم والحديث:

وهذه يعتني بها الخطيب من أجل رقي الأسلوب، وتخير الألفاظ، وانتقاء الكلمات والعبارات الجزلة الأخاذة ذات الوقع المتميز على السامع.

ومن هذه الكتب القديمة (البيان والتبيين للجاحظ) و (صبح الأعشى للقلقشندي) و (الخطب المنسوبة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه) فأسلوبها متميز والصناعة اللفظية فيه عالية.

ومن الكتب الحديثة (مؤلفات الرافعي) و (العقاد) و (أحمد حسن الزيات) و (السيد أحمد الهاشمي) وغيرها من كتب الأدب والبلاغة والفصاحة، على أن يكون الخطيب والقارئ لهذه الكتب حذراً من بعض ما قد يدس فيها من كلام خطير على أسس الشريعة وأصولها.

٦- الكتب المؤلفة في الإسلام والقضايا المعاصرة:

تزخر الساحة العلمية والأدبية بكتب إسلامية معاصرة جيدة، توفر للخطيب ثروة هائلة في إعداد مواضيعه وبخاصة الاجتماعية منها والتربوية وقضايا العصر وأحداث الوقت، فهي تتحدث بلغة معاصرة جيدة وبمعالجات مناسبة يحسن من الخطيب كثرة المطالعة فيها، وبخاصة كتب المعروفين بحسن إسلامهم، وصحة منهجهم، وسلامة قصدهم.

٧- المؤلفات في الخطب:

وهي مؤلفات خاصة تشتمل على خطب الجمعة، ألقاها مؤلفوها في مواضيع متنوعة، والسوق المكتبية ملأى بهذا النوع من المؤلفات، يجدر بالخطيب وبخاصة في بدايات عمله الخطابي أن يطلع عليها.

وهذه المؤلفات غالبا ما تحتوي على مواضيع متشابهة في الطرح من الإيمانيات والمواعظ والقضايا الاجتماعية، مما يتيح للخطيب المبتدئ فرصة المقارنة بين مناهج الخطباء، وطرق عرضهم وأساليب طرحهم، مما يعينه على رسم خط متميز لنفسه.

ولهذا ينبغي الاطلاع على هذه المؤلفات في بدايات الممارسة الخطابية، حتى إذا اشتد عوده، واتسعت مداركه ومعارفه، استقل بنفسه، وتوجه إلى المصادر الأصلية، فصار ينشئ الخُطبَ، ويرسم لنفسه خطا خاصا وطريقا منفردا، فهناك الكثير من المؤلفات التي تختص بخطبة الجمعة لمؤلفين مختلفين قديما وحديثا.

٨- الصحف والمجلات:

يجدر بالخطيب مواكبة الأحداث ومسايرة الوقائع ، ويفيده في ذلك الاطلاع على الصحف والمجلات ليتابع الأحداث المستجدة، ويمعن النظر في المقالات والتعليمات والتعليقات التي تواكب الحدث، ففيها ثراء وتوسيع لمدارك المتابع، مما يهدي الخطيب إلى النظرة المتوازية، وبخاصة إذا كثر اطلاعه على الكتابات والتعليقات الصحفية للكتاب المرموقين.

وهناك مجلات إسلامية وعلمية متخصصة ينبغي الاعتناء بها؛ لما تحتويه من مادة علمية مؤصلة مدللة، تعين الخطيب على غايته، مثل مجلة البحوث الإسلامية، والدعوة، والبيان، والإصلاح، والمجتمع.

<u>بقي أن نذكر ملاحظة هامة لابد من التنبيه إليها:</u>

وهي أن وظيفة الخطيب ليست هي تيئيس الناس، وتصوير الحياة لهم بمنظار أسود، وصب اللعنات والعذاب عليهم، بل وظيفته الأولى هي رفع هممهم، وجذب قلوبهم إلى الخير وإلى العمل للدين والدنيا، وحثهم على التمسك بالأخلاق الحميدة بصورة محببة إلى النفس كالذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي الذي جاء ليسأله عن الإسلام فخرج وهو يقول: لو لم يكن هذا دينا لكفى به خلقاً كريماً.

ولا يعني هذا أن لا نُذَكِّرَ الناس بين الحين والآخر بما أعده الله عز وجل للمنكرين والكافرين من عذاب أليم وحساب شديد، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما لا يفوت الخطيب أن يلفت أنظار الناس إلى أخطائهم، ولكن ليكن ذلك بحسن أدب، وحلاوة لسان، وليعرض الترغيب مع الترهيب، والصورة البيضاء بجانب الصورة السوداء، حتى لا يزيد الناس يأساً إلى يأسهم، ونفوراً من الدين إلى نفورهم.

وليعلم الخطيب أن دوره التوجيه الصحيح إلى تعاليم الدين ومكارم الأخلاق، لا مجاراة الناس فيما يطلبون، ولو كان باطلاً، كما نرى من أحوال كثير من الخطباء في أوقات الأزمات والعواصف المهلكات، فيصير مسعراً للفتن بدلاً من إطفائها.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها).....

المبحث الرابع

نماذج من الخطب

من المهم أن نطلع على نماذج معينةٍ من خطب رسول الله عليه الصلاة والسلام وبعض الخلفاء والأمراء والخطباء؛ لنطلع على أسلوبهم وطريقة أدائهم.

أولاً - من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم:

١- أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

"إن الرائد١ لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا، وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا".

٢ - خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة:

"الحمد الله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رَشَدَ، ومن يعصمها فقد غوى وفرط، وضل ضلالا بعيدا، وأوصيكم بتقوى الله؛ فإنه خير ما أوصى به المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرا، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله، يكن له ذكرا في عاجل أمره، وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا، ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد، والذي صدق قوله، وأنجز وعده لا خلف لذلك؛ فإنه يقول عز وجل: {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية؛ فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجرا، ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما، وإن تقوى الله يُوقي مَقْتَه، ويوفي عقوبته، ويوقي سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجوه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله؛ ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله، وأعملوا لما بعد اليوم؛ فإن من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس، ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، والله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم".

٣ ـ خطبة له عليه الصلاة والسلام:

"أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن العبد بين مخافتين، أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه، وأجل باق لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فوالذي نفس محمد بيده: ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار".

٤ ـ خطبته في حجة الوداع:

"الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح١ بالذي هو خير، أما بعد: أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم؛ فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس: إن دماءكم حرام عليكم، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد! فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدا به ربا عمى العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قوَدٌ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير، فمن زاد، فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، أيها الناس: إنما النسيء٤ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما، ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله، يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي يبن جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!.

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذِنَ لكم أنت تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد!.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد! فلا ترجعنَّ بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده، كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!.

أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا نعم. قال: فليبلغ الشاهد الغائب.
أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله".

٥- خطبته بالخيف:

وخطب بالخيف من منى فقال:
"نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العلم لله، والنصيحة لأولى الأمر، ولزوم الجماعة، إن دعوتهم تكون من ورائه، ومن كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له".

٦ - خطبته في مرض موته:

عن الفضل بن عباس قال: جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت إليه فوجدته موعوكا قد صبّ رأسه، فقال: خذ بيدي يا فضل، فأخذت بيده حتى جلس على المنبر، ثم قال: ناد في الناس، فاجتمعوا إليه، فقال:
"أما بعد: أيها الناس فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وإنه قد دنا مني خفوق من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهرا، فهذا ظهري فليستقدَّ منه، ومن كنت شتمت له عرضا، فهذا عرضي فليستقدَّ منه.

ثانياً: من خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

١ - خطبته بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم:

لما قبض الله نبيه صلوات الله عليه لم يجسر أحد من المسلمين على نعيه واضطرب الناس وماجوا، وقالوا وقال معهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن رسول الله لم يمت. أقبل الصديق فكشف عن وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- فقبله، وقال: بأبي أنت وأمي طبت حيا وطبت ميتا. وخرج من عنده فبدر الصحابة بخطبته المشهورة بعد أن حمد الله، وأثنى عليه:
"أيها الناس إن من كان يعبد محمدًا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، والله قد نعاه الله إلى نفسه في أيام حياته فقال: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} ، ثم قال: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} و {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} ، ثم قال: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} إلا أن محمدا قد مضى لسبيله، ولا بد لهذا الأمر من قائم

يقوم به، فدبروا، وانظروا، وهاتوا آراءكم"، فبكي الناس، ونادوه من كل جانب، نصبح وننظر من ذلك إن شاء الله.

٢ ــ خطبته في سقيفة بني ساعدة:

"بعد أن حمد الله واثنى عليه قال: ... نحن المهاجرون، أول الناس إسلاما، وأوسطهم دارا، وأكرم الناس أحسابا، وأحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادة في العرب وأمهم رحما برسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم، فأنتم إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفئ، وأنصارنا على العدو، أويتم ونصرتم وآسيتم، فجزلكم الله خيرا. نحن الأمراء وأنتم الوزراء. لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، وأنتم محقوقون ألا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم".

ثالثاً: من خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

١ - خطبته بعد توليه الخلافة:

إن الله عز وجل قد ولاني أمركم، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم، وإني أسأل الله أن يعينني عليه، وأن يحرسني عنده، كما حرسني عند غيره، وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمرني به. وإني أمرؤ مسلم وعبد ضعيف، إلا ما أعان الله عز وجل، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئا إن شاء الله، إنما العظمة لله عز وجل، وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم: إن عمر تغير منذ ولي، أعقل الحق من نفسي، وأتقدم وأبين لكم أمري، فأيما رجل كانت له حاجة، أو ظلم مظلمة أو عتب علينا في خلق، فليؤذنّي، فإنما أنا رجل منكم، فعليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم، وحرماتكم وأعراقكم، وأعطوا الحق من أنفسكم، ولا يحمل بعضكم بعضا على أن تحاكموا إلى، فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة، وأنا حبيب إليَّ صلاحُكم، عزيز عليَّ عَثَتُكم، وأنتم أناسٌ عامتكم حضر في بلاد الله، وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع، إلا ما جاء الله به إليه، وإن الله -عز وجل- قد وعدكم كرامة كثيرة، وأنا مسئول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما يحضرني بنفسي إن شاء الله، لا أكله إلى أحد، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله".

٢ - خطبته في منهجه:

"أيها الناس، لوددت أن أنجو كفاف لا لي ولا علي، وإني لأرجو إن عمرت فيكم يسيرا أو كثيرا أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله، وألا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله، ولا يعمل إليه نفسه، ولم ينصب إليه يوما، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله، وتقليل في رفق خير من كثير في عنف".

رابعاً: من خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه:

١ - خطبته بعد بيعته:

"أما بعد، فإني قد حملت وقد قبلت، ألا وإني متبع ولست بمبتدع، ألا وإن لكم عليَّ بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ثلاثًا: اتِّبَاع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسنتهم، وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ، والكف عنكم إلا فيما استوجبتم. ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس، ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها؛ فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها".

٢ - خطبة له يحذر الناس من خداع الدنيا:

"إنكم في دار قلعة، وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم، صبحتم أو أمسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. اعتبروا بمن مضى، ثم جدوا ولا تغفلوا؛ فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذي أثاروها وعمروها، ومتعوا بها طويلا، ألم تلفظهم! ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة؛ فإن الله قد ضرب لها مثلا، وللذي هو خير، فقال عز وجل: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}".

خامسا: خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

"أما بعد، فإن لي عليكم حقا، وإن لكم علي حقا، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم ما صبحتكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيما لا تجهلوا، وتأديبكم كي تعلموا، وأما حقي عليكم فالوفاء للبيعة، والنصح لي في الغيب والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فإن يرد الله بكم خيرا انتزهتم عما أكره، وترجعوا إلى ما أحب، تنالوا ما تطلبون، وتدركوا ما تأملون".

سادساً: خطبة لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

"أيها الناس إنكم لم تُخلَقوا عبثًا ولم تتركوا سدى، وإن لكم معادًا يحكم الله فيه بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض واعملوا أن الأمان غدًا لمن خاف ربه وباع قليلًا بكثير، وفانيًا بباق، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفكم من بعدكم الباقون حتى تردوا إلى خير الوارثين؟ ثم أنتم في كل تشيعون غاديًا ورائحًا إلى الله قد قضى نحبه وبلغ أجله ثم تغيبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير موسر ولا ممهد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب. غنيًّا عما ترك، فقيرا إلى ما قدم، وايم الله إني لا أقول لكم هذه المقالة ما أعلم أحدًا منكم من الذنوب مما عندي- فأستغفر الله لي ولكم".

سابعاً: خطبة للمأمون:

"أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده، والتنجز لوعده، والخوف لوعيده؛ فإنه لا يسمل إلا من اتقاه ورجاه وعمل له وأرضاه، فاتقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم، وترحلوا فقد جد بكم، واستعدو للموت فقد أظلكم، وكونوا قوما صيح بهم، فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإن الله لم يخلقكم عبثًا، ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به، وإن غاية تنقصها اللحظة، وتهدمها الساعة الواحدة، لجديرة بقصر المدة، وإن غائبا يحدوه الجديدان: الليل والنهار لحريٌّ بسرعة الأوبة، وإن قادما يحل بالفوز أو بالشقوة لمستحق أفضل العدة، فاتقى عبدٌ ربَّهُ، ونصح نفسه، وقدم توبته، وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكل به، يزين له المعصية؛ ليركبها، ويمنيه التوبة؛ ليسوفها، حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها، فيا لها حسرة على ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجة، أو تؤديه أيامه إلى شقوة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة، ولا تقصر به عن طاعته غفلة، ولا تحل به بعد الموت فزعة، إنه سميع الدعاء، وبيده الخير، وإنه فعال لما يريد".

ثامناً: نماذج من الخطبِ المعاصرة:

١ – خطبة بعنوان (أسلوب الدعوة إلى الله عز وجل):

الحمد لله عز وجل وهب أصفياءه الحكمة، وكتب على نفسه الرحمة: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}، أشهد أن إله إلا الله، وهو وحده العليم بالسرائر، المطلع على خفيات الضمائر: {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله، منحة الرحمن، وصفوة الإنسان، {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه، {وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}.

يا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم:

لعل أهل صفة من صفات رسول الله أنه داعية إلى الله، ولذلك خاطبه ربه في محكم تنزيله بقوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا}.

هو يشهد بالحق ويحث عليه، وهو يبشر بالخير ويحبب فيه، وهو يحذر من الشر ويباعد عنه. وهو حين يدعو إلى الله بإذن الله، ينير الطريق ويضيء المسالك، ويفتح أمام المهتدين المحسنين أبواب الفضل الإلهي الكبير: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.

ومعنى هذا أن الدعوة إلى الله ليست لعبة يتلهى بها الغر والجاهل، وليست أمرا يحسنه القاصر والغافل، وليست شهوة يندفع إليها كل من عرف قشورًا من الدين، أو أراد تظاهرًا بين الناس، وإنما الدعوة إلى الله كالحرم الرباني الزكي، يدخله من تطهر وتدثر بالعقل والعلم والإخلاص والاعتدال على الصراط المستقيم بلا انحراف ولا اعتساف ولا إسراف، ولذلك وكَّل الله -تبارك وتعالى- هذه المهمة الجليلة في نطاقها العام إلى أنبيائه ورسله ومن ورثتِهم والأخيار من أتباعهم الراسخين في العلم، البصراء بالحق، الخبراء بطرق الهداية في حذق ورفق، ولذلك قال الله -تعالى- لحبيبه ومصطفاه: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

ولجلال الدعوة إلى الله ودقتها رسم الرحمن الرحيم لرسوله الكريم أصولها وقواعدها حتى تكون هديا ونورًا، وخيرًا وبرًّا، تجمع ولا تفرق، وتوحد ولا تمزق، وتبني ولا تهدم، وتعمر ولا تحطم، فقال له: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} ١.

وفي هذا النص الإلهي المجيد حدَّد الخالق سبحانه ثلاثة وسائل للدعوة؛ هي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن؛ وكأنه أراد أن يكون كل منها لمستوى من المستويات، أو لحالة من الحالات، فالحكمة هي القول العلمي الدقيق البليغ، المشتمل على الحجة المقنعة والبرهان الساطع والدليل الواضح، وكأنه وسيلة الإقناع بالحكمة تناسب الذين يطيقونها ذهنيًّا وفكريًّا من المتعلمين والمثقفين، والموعظة الحسنة هي الكلام الرقيق اللطيف، الذي يقوي حوافز الخير وعواطف البر ومشاعر الإنسانية الرفيعة التي تعمر دنياها بالمحبة والمودة وحسن المعاملة، وكأن هذه الوسيلة تناسب جمهور الناس الذين إذا جاءتهم الموعظة الحسنة اللينة أحيت مَوَات قلوبهم، وذكرتهم بربهم، وحملتهم برقة ولطف على سواء السبيل، ثم تأتي المجادلة بالتي هي أحسن، وهي المحاورة الهادئة الرزينة التي تصور أحسن الطرق للمناقشة، بلا عنف ولا تعنت ولا شطط، وهذه الوسيلة تكون مع المخالف في الاتجاه أو الاعتقاد، وهكذا أراد الله -جل جلاله- بمن يصلح للدعوة ويقتدر عليها أن يعرف حدودها وقيودها، وأن يلتزم وسائلها الرشيدة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فلا ينحرف عنها ولا يجور فيها، ولا يجاوزها إلى ادعاء ما ليس له من جموح أو تطاول، بل هو يبين ويوضح ويدلل بأرق الوسائل وألطف الأساليب، دون لَجاجة أو مهاترة أو عدوان، والله بعد ذلك هو المتصرف في عباده، المسئول عن هدايتهم، العليم بالطوايا والنوايا، {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور}، وهو وحده صاحب الحق في محاسبة الخلق على أعمالهم يوم لقائه، وهو وحده مالك الثواب والعقاب، ولذلك قال: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}.

إلى آخر الخطبة .....

٢ – خطبة بعنوان (تمييع الشباب):

الحمد لله عز وجل، دعا إلى القوة وحذر من الضعف: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ}.. وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، خير من جمع بين قوة الحس وطهارة النفس، فكان إمام المصلحين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه القانتين، وأتباعه المجاهدين: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

لا يمكن لأمة أن تحيا كريمة عالية، دون أخلاق فاضلة سامية، ومكارم الأخلاق هي عماد الأفراد والشعوب، ولذلك كان من الأهداف الأساسية للنبوات والرسالات دعم هذه الأخلاق، حتى قال محمد سيد الخلق: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وفي ظلال الأخلاق الفاضلة تندفع الأفراد والجماعات إلى حياة متماسكة، فيها صحة أبدان وقوة عقول وعلو هِمَم، وفيها اعتزاز بالفضيلة وحرص عليها، وحمل على الرذيلة ونفور منها؛ وقد ابتلينا بمجموعة من الشباب كأن الشيطان الرجيم قد استقرهم حسا ونفسا، فهو يبثهم بين الناس؛ كي يحققوا ما يبغي لهم من خسار وبوار؛ هذه المجموعة تتمثل في أولئك الرقعاء المائعين أشباه الرجال الذين يتحلون بالمظاهر التي لا تليق بالرجال، فهم يلبسون الثياب الملونة والسراويل الضيقة، ويضعون السلاسل الذهبية حول أعناقهم، والأساور في أيديهم، ويتسكعون في الشوارع، يعبثون ويفجرون ويعتدون على النساء والفتيات، ويرددون أقذر الألفاظ، ويمشون مترنحين كأنهم خارجون سكارى من ماخور أو حانة خمور..

ومن المضحك المبكي أن هؤلاء الشبان يصفون الذين ينصحونهم أو يدعونهم إلى الرجولية والحياة المتماسكة بأنهم من أنصار القديم ... ورحمة الله ورضوانه على كثير مما فقدنا من هذا القديم، فأين عفة هذا القديم؟ وأين جهاد هذا القديم؟ وأين تماسك الأسرة في القديم؟ وأين صيانة الأعراض في القديم؟ وأين نشأة التدين والإيمان والقوة التي كانت في القديم؟.. سلاما سلاما على كثير من ذلك القديم، وسبحان من يحيى العظام وهي رميم.. الحق أننا خسرنا الكثير حين أعلنَّا الحرب على هذا القديم دون أن نفرق فيه بين فاسد وسليم، وبين ما يصح أن يترك وما يجب أن يصان، وفي حربنا القديم تركنا ذخائر نفائس.. تركنا الفضيلة؛ لأنها شيء قديم، ونسينا معنى الشرف؛ لأنه شيء قديم، وهزئنا بالقيم الفاضلة، والمبادئ الأخلاقية؛ لأنها شيء قديم، وأصبحت الفضولية الوصولية والإباحية من القيم الجديدة في العالم الجديد..

إلى آخر الخطبة .....

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الحشر واليقين.....

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - السنة النبوية.

٣ - السيرة النبوية.

٤ – أصول الإنشاء والخطابة: محمد الطاهر ابن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) المحقق: ياسر بن حامد المطيري - الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ.

٥ - تلخيص الخطابة: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ).

٦ - الخطابة الإسلامية: عبد العاطي محمد شلبي، عبد المعطي عبد المقصود الناشر: المكتب الجامعي الحديث - الطبعة: ٢٠٠٦.

٧ - الخطابة عند العرب: محمد الخضر حسين (المتوفى: ١٣٧٧ هـ) المحقق: ياسر بن حامد المطيري - الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ

٨ - خطبة الجمعة في الكتاب والسنة: عبد الرحمن بن محمد الحمد - الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٩ - الخطب والمواعظ لأبي عبيد: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) المحقق: الدكتور رمضان عبد التواب - الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - الطبعة: الأولى.

١٠ - خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة: عبد الغني أحمد جبر مزهر - الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.